الحوثيون ومسيرة الوصول إلى صنعاء والسيطرة على المؤسسات

هكذا تآمر «الإصلاح» مع الحوثي للسيطرة على صنعاء

كيف منحت بعض الأحزاب الحياة للحوثي؟

«الأمناء» رصد / محمد مرشد عقابي:

ذكـــر تقرير صحفـــي، نشر مؤخراً، تفاصيـــل مراحل توغل الحوثيين في صنعاء وصولاً إلى انقلابهم على الســـلطة الشرعية في 21 سبتمبر عام 2014م، لافتاً إلى أن الحرب اليمنية منذ اندلاعها بعد ســـت ســـنوات من سيطرة الجماعـــة لم تخلـــف إلا حصاداً أسود كان بسبب تراكمات قديمة غذتها احتجاجات عام 2011م.

واحتفت جماعة الحوثي في الحادي والعشرين من ســـبتمبر الجاري بمرور ست سنوات على ما دأبت عـــلى وصفه بـ»الثورة» التي أوصلتهم إلى السيطرة على مؤسســـات الدولـــة في العربية اليمنية عـــام 2014م، في الوقت الـــذي أحيـــا فيـــه المناهضون للانقلاب الحوثي ما أطلقوا عليه «يوم النكبة».

واســـتعرض التقريـــر أولى ملامح تحويل الصراع بين الدولة اليمنيـــة والحوثيـــين إلى مادة للتوظيف الســـياسي في الصراع الموازي، الذي كان مســـتعراً بين صالـــح وأحـــزاب المعارضة التي تكتلت في تجمع سياسي أطلقت عليـــه اســـم «اللقاء المشـــترك» والمتشـــكل قبل انـــدلاع حروب صعـــدة بعام واحد، مشـــيراً إلى تحول التوافق الجزئي بين أحزاب المعارضة حول مشروعية حروب صعدة التي بدأت في عام 2004م إلى مـــادة للنزاع الســـياسي مع ارتفاع حـــدة الخلافات بين حزب المؤتمر الحاكم وأحـــزاب «اللقاء المشـــترك» والتي بلغـــت ذروتها على وقع الانتخابات الرئاســـية، حيث دعمت فيها أحزاب المعارضة المرشـــح فيصل بن شـــملان في مواجهة علي عبد الله صالح.

وتطرق إلى تســـلل مصطلح (الحـــرب العبثيـــة) إلى مفردات الخطاب الســـياسي، التي بدأت تســـتخدمها صحف المعارضة في وصف الحرب الدائرة بين الجيش اليمني والميليشيات الحوثية التي خسرت مؤسسها في حرب صعدة الأولى في عام 2004م وشارفت على النهاية في الحـــرب الثانية عام 2005م قبـــل أن تجد طوق نجاة في الصراعات السياسية بين حزب المؤتمر وأحـــزاب المعارضة التـــي تزامنت مع نشـــوب حرب صعدة الثالثة التـــي امتدت حتى عام 2006م.

ووفقـــاً لـــذات التقرير، فقد انقسم الخطاب الإعلامي لأحزاب «اللقاء المشـــترك» في تلك الفترة ما بين من يرى أن حروب صعدة ظالمة تستهدف مكوناً يمنياً، وهو الأمر الذي سعت إليه الأحزاب ذات الخلفيات الفكرية الزيدية المنبثقة عن الفكر الإمامي في اليمن الذي ينتمي إليه الحوثيون مثل (حزب الحـــق واتحاد القوى الشـــعبية) وحتـــى الأحزاب اليســـارية مثل الحزب الاشتراكي.

وأكـــد أن أحـــزاب «اللقـــاء المشـــترك» منحت الحوثيين الحق في الحياة والبقاء، وهذا مثل بداية مرحلة جديدة في مسيرة الجماعة التي ظهرت شعاراتها في صنعاء بشكل علني بعد أن كانت جريمة يعاقب عليهـــا القانون، وتلا ذلك مشـــاركة الحوثيـــين في مؤتمر الحوار الوطني في العام 2013م بعـــد أن قدمت الحكومـــة آنذاك اعتذاراً رســـمياً لهم عن الحروب الست.

واتفق كثيرون، بحسب ما جاء في التقرير، على أن ذلك المنعطف اعتبر نكايـــة في الرئيس صالح وحزبه الذي تصـــدر الحرب ضد الحوثيين بصفتـــه رئيس الدولة قبل التخلي عن الســـلطة بموجب المبادرة الخليجية، مشـــيراً إلى أن تحريض الخطاب الإعلامي لأحزاب اللقاء المشـــترك التي هيمنت على مقاليد الدولة بعد إســـقاط نظام علي عبـــد الله صالح قد ســـاهم في محاولة إظهاره كطرف وحيد مسؤول عن الحرب ضد الحوثيين، في دفعه لمحاولة فتح قنوات مع الميليشـــيات التي باتت موجودة سياسياً وشعبياً في صنعاء.

ونـــوه التقريـــر إلى بـــروز تصريحـــات عديـــدة لقـــادة في المعارضة تشيد بالحوثيين كطرف ســـياسي أصيل تعرض للإقصاء خلال فـــترة حكم عـــلي عبدالله صالح، كما علّـــق القيادي البارز في حزب الإصـــلاح حميد الأحمر في مقابلة تلفزيونية على إكمال الحوثيين سيطرتهم على محافظة صعدة أثناء الاحتجاجات الشعبية في العام 2011م بأنه عمل ثوري ينـــدرج في إطار إســـقاط نظام «صالح» وبمثابة عودة صعدة إلى حضن الوطن - على حد وصفه.

كما لفت إلى أن «صادق الأحمر شـــيخ قبيلة حاشـــد ردد كلاماً مشابهاً لما قاله شقيقه في حوار مع قناة «الجزيـــرة» وصف فيه الحوثيـــين بـ»المضطهدين الذين تعرضوا للظلـــم والجور في فترة حكم علي عبد الله صالح»، ناهيك عن اعتذاره عن مشاركة قبيلته في الحروب ضد الحوثيين، واعتبر ذلك نتاجًا لحالة التضليل الذي مارسه نظام صالح، فيما لعب شقيقهم الثالـــث حســـين الأحمـــر، وفق التقرير، دوراً مشـــابهاً من خلال تحوله إلى وسيط بين (الحوثيين والســـلفيين) في صعدة، غير أن مواقف «آل الأحمر» التصالحية مع الحوثيين تغيرت بشـــكل حاد بعد قرابة عامين نتيجة زحف الحوثي إلى معاقلهم القبلية في محافظة عمران شمال صنعاء والتي انتهت بالسيطرة عليها وتفجير منازلهم ومحو آثارها من الوجود.

وتشـــير المعلومات الواردة في التقرير إلى أن علي عبد الله صالح لم يتوقـــع تقـــدم الحوثيين نحو مركز محافظة عمران بعد أن ظن أن الزحف الحوثي سيقتصر على السيطرة على معاقل «آل الأحمر»، حيث أرســـل وفداً من قيادة حزبه لزيارة الرئيـــس عبدربه منصور هادي الذي تولى السلطة في العام 2012م وتحذيره من أن ســـيطرة الحوثيين عـــلى محافظة عمران يعني ســـقوط العاصمة اليمنية صنعـــاء ذات الثقل الســـياسي والإداري والاجتماعـــي، غـــير أن مقربين من هادي أقنعوه، بحسب مصـــادر مطلعة، مـــن أن صالح يريد الزج به في صراع جانبي مع الميليشيات الحوثية، وهو ما أعقبه قيام الرئيس هادي بزيارة شهيرة إلى مركـــز محافظـــة عمران بعد سيطرة الحوثيين عليها وإسقاط أكبر معســـكراتها وهـــو اللواء «310» مدرع وقتـــل قائده حميد القشـــيبي في يوليو عام 2014م وظهر حينها على القناة الرسمية اليمنية متحدثاً مـــن عمران بأن المحافظـــة عـــادت إلى أحضان الجمهورية.

وأشـــارت مصـــادر عديـــدة وفقاً لهـــذا التقرير إلى أن اجتياح العاصمـــة اليمنية بات مســـألة وقت فقط، وهو مـــا حدث فعلاً بعـــد ذلك بأشـــهر حـــين دخلت مليشيات الحوثي صنعاء في 21 سبتمبر 2014م وأحكمت قبضتها وسيطرتها المطلقة على مؤسسات الدولة ومعســـكرات الجيش التي انهارت بصـــورة دراماتيكية دون مقاومة تذكـــر، وهنا دارت الكثير مـــن التكهنات حول ســـبب هذه الانهزامية التي واجه بها الجيش النظامي المليشيات الحوثية وكذلك حالة التوهان والاستسلام.

وبـــيّن بأن المعطيـــات حينها رجحت فشـــل هادي في التحكم بالجيش الذي رفض المواجهة بعد أن أصبـــح الحوثيـــون على بوابة عاصمة العربيـــة اليمنية صنعاء، في حين كانت الفرصـــة متاحة لوقـــف زحفهم في عمـــران من خلال دعم مقاومـــة بعض رجال قبيلة حاشد أو إسناد اللواء حميد القشـــيبي الذي تصدى للحوثيين في معســـكره وقتـــل بطريقـــة إجرامية بشـــعة، كما كشـــفت التقاريـــر المسربة عـــن مصرعه، ولكن كل محاولات إيقاف الحوثي في عمران لم يتم إسنادها من قبل الجيش الـــذي كان يأتمر في ذلك الحين بأمر هـــادي بصفته القائد الأعلى للقوات المسلحة.

ويتهـــم الكثير من ناشـــطي حزب الإصلاح (الإخوان المسلمون) علي عبد اللـــه صالح في كل مرة يدور الحديث عن الانقلاب الحوثي بتسليم معســـكرات الجيش لهذه الجماعـــة، بينما يعتـــبر أنصار الرئيـــس الراحـــل الـــذي قتلته المليشـــيات الحوثية في ديسمبر 2017م أن صالـــح لم يكن يمتلك أي صفة رســـمية بعـــد مغادرته السلطة.

وأوضح التقرير بأن ما تعرض لـــه الجيش اليمني عـــام 2012م لإعادة هيكلة تم خلالها إقالة كل القيادات العســـكرية المقربة من صالح بما في ذلك أقاربه وتعيين آخرين موالين للرئيـــس عبد ربه منصور هـــادي ووزيـــر دفاعه آنـــذاك، والذي أشرف مباشرة على عملية الهيكلة وتـــم تكريمه من قبل (تنسيقية شباب الثورة) بدرع نظـــير جهوده في إعـــادة هيكلة الجيش وإضعاف سيطرة صالح.

ورأى التقرير أن هذه العملية التي وصفها أنصار صالح بتفكيك الجيـــش أحـــد عنـــاصر التعقيد في المشـــهد اليمنـــي، هـــي التي ســـهلت للحوثيين اجتياح صنعاء والسيطرة على مؤسسات الدولة في هذا البلـــد، حيث أضعفت هذه العملية من ســـيطرة صالح على القرار في المؤسســـة العسكرية والأمنية، غـــير أن هذه التغييرات لم تســـمح للرئيس الجديد ووزير دفاعـــه بالســـيطرة عـــلى هذه المؤسسات بشكل حقيقي وفاعل، وهـــو ما خلف فجـــوة كبيرة بين وحدات الجيش وقيادته ســـمحت للحوثيين بالتسلل من خلالها إلى مفاصل الدولـــة وتنفيذ الانقلاب مســـتفيدة من الركام الهائل من الأحقاد بين صالح وحزب المؤتمر الشـــعبي العام من جهة، وأحزاب «اللقاء المشـــترك» من جهة أخرى والتاريخ الطويل مـــن التوظيف السياسي لملف صعدة.

وأكد، في الختام، بأن كل هذه العوامل والمتغيرات لم تتوقف بعد الانقـــلاب الحوثي، بل اســـتمرت في مراحل لاحقة وســـاهمت في إفشـــال مشروع تحرير اليمن من الجماعة.